عدو ابليس

للأستاذ توفيق الحكيم

« عزرائيل ينصرف عن دار النبي بعد وفاته فيرى إبليس مقبلا فرحاً مبتهجاً ... »

إبليس — هل قبضت روحه ؟

عزرائيل — وما شأنك وهذا ، أخزاك الله ؟

إبليس — نعم ، نعم ، لقد مات . أليس هذا صوت ابنته فاطمة تبكي وتصيح : « أبتاه ، أبتاه . أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه ! يا أبتاه إلى جبريل نعاه ! »

عزرائيل — وما يعنيك من هذا الأمر ؟

إبليس — أو ليس هذا أيضاً صوت عائشة في بكاء وشهيق : « وا حر قلباه ! وا مصيبتاه ! الآن قد انقطع عنا خبر السماء ! »

عزرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ثم ها هو ذا صوت نسائه كلهن يبكين : « وا ثكلاه ! وا ثكلاه ! »

عزرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ما أجل هذا النهار ... إن نفسي لتكاد تنفجر شعراً وغناء . إسمع إلى هذه الأغنية :

ذهب عـــدوي إلى الفنـــاء
اليوم عيـــدي فإلى الفنـــاء

عزرائيل — صه ! قبّحك الله وقبّح صوتك !

إبليس — صوتي منذ اليوم يستطيع أن ينطلق حرا في أرجاء الأرض . صوتي منذ الآن يستطيع أن ينفذ إلى تلك القلوب التي كانت تميل عني لتتلقى أخبار السماء ؟ نعم الآن قد انقطع عن الأرض خبر السماء . لقد عاد إليّ ملك الأرض من جديد ... وافرحتاه ! وافرحتاه !

عزرائيل — خسئت ! إن نور السماء قد نفذ إلى قلوب الناس فهيهات بعد اليوم أن يصغوا إلى صوتك !

إبليس — إنك لا تعرف الناس مثلما أعرفهم . إني أعرف كيف أمر بأناملي مراً رقيقاً على أوتار قلوبهم ، فيذهلون ، وأغني بصوتي هذا غناء شجياً فيطربون ... إنك لا تعرف ما هي الأغاني التي أغنيها لهم . إني أغنيهم أغاني الأرض لا أغاني السماء ! إن السماء تنير قلوبهم حقيقة .. ولكن لأجل قريب . لا تنس أنهم خلقوا من طين الأرض . لا شيء يهز كيانهم غير أغاني الأرض !

عزرائيل — إنهم من الأرض ولكن أعينهم تتطلع إلى السماء

إبليس — نعم ، عند ما يشير لهم إليها النبي بأصبعه ، فإذا ولى ... عادت رؤوسهم تنخفض نحو الأرض . إنهم كالسنبلة التي لا يرفعها غير الأصبع ، فإذا تركت سقطت

عزرائيل (كالمخاطب لنفسه) — عجباً ! ولماذا إذن رضي الله أن يقبض نبيه ؟! إن لله حكمة ، أجل ، أجل . أنسيت أيها الخاسر أن النبي إنما يأتي للتبليغ ويمضي . إنه جاء بالدين . إنه يذهب ولكن الدين باق . الدين هو الأصبع الدائمة التي لا تنفك تقيم الموج . لا تفرح إذن كثيراً بموت النبي . ما مات غير الجسد الزائل . أما المبادئ والتعاليم فهي قائمة في وجه ريحك العاتية دائماً ... ما الرسول في الحقيقة غير الرسالة ... والرسالة لا تموت

إبليس — نعم ، نعم .

عزرائيل — ما بالك وجمت ! إن على وجهك الآن لغبرة تزيده قبحاً على قبحه ...

إبليس — الرسالة والدين والتعاليم ... هذا صحيح ... ولكن ... تلك أشياء لم تخفى قط ... فقد استطعت فيما مضى أن أنزع عنها بعض قوتها ... إن المسيح قد بشّر بالمثل الأعلى وفتح قلوب الناس لنور السماء . وذهب وقد ترك في الأرض

قديسين وخلفاء ساروا على سنته فى نبذ متع الأرض والانقطاع مترهبين فى الصوامع والبيع والصحارى ورؤوس الجبال يتأملون وجه الله وحده ، ناسين أو متناسين هذه الأرض التى من عناصرها صنعت أجسامهم ... هنا تراءيت لهم ولمن تبعهم فى صور مختلفة تذكرهم بما نسوه وتناسوه ، وخاطبت أجسامهم بالمنطق الذى تفهمه ، وحدثت عناصر تركيبهم باللغة التى تعرفها ... فإذا أكثر الناس يصغون إلىّ فى أمور حياتهم ومعاشهم ولا يذكرون تلك التعاليم والمبادئ السماوية إلا يوم يجدون فى أوقاتهم فراغاً للتفكير فى السماء . إنى ذكى . إنى لم أرد قط فى حربى ضد المسيح أن اقتلع المسيحية من النفوس ، ولكنى أظهرت فى لباقة ما فيها من علو شاهق لا يستطيع المخلوقون من تراب وطين أن يبلغوه ما داموا آدميين ... فليصغوا إذن إلى أغانى الجسد وأناشيد التراب والطين ... وليطلب العلو من كان عنده فضل من فراغ ينفقه بعيداً عن الأرض والحياة ... وبهذا أصبحت المسيحية الحق اليوم ترفاً روحياً لا يقتنيه غير خاصة الخاصة ، أولئك الذين لم أستطع أن أخاطب فيهم منطق الأجساد والعناصر ...

عزرائيل — لقد أدرك الله غرضك الأثيم فأرسل محمداً بدين لا ينكر منطق الأجساد والعناصر ... دين لا يعرف الرهبنة ولا إنكار قوانين الأرض ... دين لا يكره أن يصغي أتباعه إلى أغانى السماء والأرض معاً ... وأن يفكروا فى الآخرة والدنيا معاً ... ما وسائل حربك إذن ضد محمد والإسلام ؟

إبليس — حقاً ... تلك هى المشكلة ! لهذا كان ذلك النبى ألدّ عدو لى !

عزرائيل — إنه خاتم الأنبياء لأنه ضيق عليك الخناق ، وسد كل ثغرة يمكن أن تنفذ منها سمومك ... فماذا أنت صانع ؟ ...

إبليس — دعنى أفكر ...

عزرائيل — فكر طول الأبد ... فلن تظفر ...

إبليس — بل لقد فكرت وظفرت ... الأمر بسيط : يجب علىّ أن أطمس خصائص هذا الدين ... إنى خبرت الناس لطول تصوقى بهم وعشرتى لهم ... إن الناس يميلون دائماً إلى التشبه والتشبيه ... هذه القرود الناطقة ... يصعب عليها التمييز والتفريق والنظر فى فلسفة الأشياء ... غداً عند ما يوارى محمد فى التراب ... ويصبح ذكراً وطيفاً كموسى والمسيح ... لن يفرق الناس بين محمد وموسى والمسيح، بل ربما قبل أن يواروه فى الحفرة ... أنظر ... أليس هذا عمر بن الخطاب أحد خلفائه ؟ اصغ إليه ...

عزرائيل — إياك أن توسوس له بشىء .

إبليس — إصغ إليه ...

[عمر بن الخطاب يقوم فى الناس صائحاً]

عمر — لا أسمعن أحداً يقول : إن محمداً قد مات ؛ ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فلبث عن قومه أربعين ليلة . والله إنى لأرجو أن تقطع أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات !

عزرائيل — عجباً ! ما هذا الذى يقول ؟ !

إبليس — أرأيت ؟ إنهم قد شبهوه بموسى ولما يهيلوا عليه التراب !

عزرائيل — كذبت ! إنما هى وسوسة منك !

إبليس — صه ! أنظر ! هذا أيضاً رجل من بين الناس يريد أن يقول شيئاً ...

[ينهض أحد الناس صائحاً]

أحد الناس — إن رسول الله قد رُفع كما رفع عيسى ، وليرجعن !

عزرائيل — رباه ! ماذا أسمع !

إبليس — أرأيت ؟ إنهم قد شبهوه كذلك بعيسى ولما يدرجوه فى الأثواب !

عزرائيل — لست أصدق ما أرى وما أسمع

إبليس — لقد قلت لك إنى أعرف منك بالبشر

عزرائيل — اللهم نورك ! كيف خفى على هؤلاء أن دينهم لم يكن تكريراً لما سبقه من أديان ! ... اللهم إنك منزه عن اللغو والتكرار !

إبليس — ما أبهج هذا النهار ؟ ألا تطربك أغنيتى :

ذهب عدوّى إلى الفنـــاء
اليـوم عيدى فإلى الفنـاء

عزرائيل — آه ، لو استطعت أن أبطش بك ...

إبليس — إقبض روحى إن قدرت ...

عزرائيل — ليس لك روح يُقبض

إبليس — بل لى روح لا تستطيع قبضه يداك الصغيرتان !

عزرائيل — يداى حقاً لا تستطيعان ؛ ولكن يد رضيع تستطيع ... إن روحك ليزهق فى اليوم ألوف المرات ... إن روحك لينطفئ فى قلب كل مؤمن ومؤمنة ومحسن ومحسنة وخيّر وخيّرة ... إن روحك مارد من دخان يستطيع طفل بكلمة طيبة أن يحبسه فى قمقم من نحاس !

إبليس — ولكنى لا أموت ولا أذهب إلى الفناء ... لأنى سلطان الأرض وروح الأرض ... ولن أترك الأرض ما بقيت دودة تسعى فى الأرض !

عزرائيل — إبق ما شئت فى الأرض ، ولكنك لن تقوى على دحر أعدائك ...

إبليس — عجباً لك ! أو لم تر كيف أنى فى لحظة استطعت أن أغير معنى الدين الذى قضى محمد حياته كلها فى تجليته وإظهاره وتوضيحه ... ؟ ألم يذكّر محمد قومه فى كل وقت أنه بشر يوحى إليه ... وأنه يحيا ويموت كبقية الناس ... وأن دينه هو دين الحياة ... الذى يحل للناس كل وسائل العيش الصالح على هذه الأرض ... وما دام دينه دين الحياة والفطرة والمنطق البشرى ... فلا ينبغى أن يؤلهه الناس كما ألّهوا المسيح ، ولا أن يتكروا إمكان موته كما فعلوا مع المسيح ... أليس هذا معنى دينه ؟ فكيف إذن بدّل الناس الآن المعنى وانقلبوا يسيرون نحو فكرة التأليه ؟ ...

عزرائيل — إنهم لم يغيروا شيئاً ... ولئن وقع فى نفسك شىء من كلام عمر بن الخطاب ، فهو ولا ريب قد قال ما قال خوفاً من الردة !

إبليس — ولماذا يخشى ارتداد الناس عن الدين بموت محمد ... إنهم إذن كانوا يعبدون محمداً !

عزرائيل — اللهم ألق نورك فى صدور الناس !

إبليس — هيهات ! إن ما تسميه « وسوستى » قد استقر الساعة فى صدور الناس ...

عزرائيل — خسئت أيها الخاسر ... أنظر ... أنظر ...

إبليس — ما ذا ؟ من هذا ؟

عزرائيل — هذا أبو بكر يقوم فى الناس ... اصغ إليه ...

[أبو بكر ينهض فى الناس صائحاً]

أبو بكر — أيها الناس ... أما بعد ، فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ... ومن كان يعبد الله ، فإن الله حى لا يموت !

عزرائيل — وافرحتاه ... أسمعت ؟

إبليس — ؟ ؟ ؟

عزرائيل — أنظر أيضاً ... أنظر ... هذا العباس يريد أن يقول شيئاً ...

[العباس يقوم فى الناس صائحاً]

العباس — أيها الناس ... والله الذى لا إله إلا هو ، لقد ذاق رسول الله الموت ، وإنه ليأسن كما يأسن البشر ... فادفنوا صاحبكم ... إنه ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ... أحلّ الحلال وحرّم الحرام ... ونكح وطلق وحارب وسالم ... وما كان راعى غنم يتبع بها رؤوس الجبال بأنصب ولا أدأب من رسول الله فيكم ... !

[عزرائيل يلتفت الى إبليس صائحاً صيحة انتصار]

عزرائيل — ما ذا تقول الآن فى هذا ؟ أغرب الآن عن هذا المكان ... لقد طهر معنى الإسلام ، وتألق روح هذا الدين ... !

ترفيق الحكيم

امتحانات الثقافة العامة

للسنة الرابعة الثانوية فى العلوم والرياضة

تأليف أنيس ميخائيل ، وبشرى دميان
المدرسين بالمدارس الأميرية

قد عنى به المؤلفان عناية خاصة حتى جاء خير مجموعة تعين الطالب على استيعاب مناهج العلوم والرياضة

المرشد فى الامتحانات العامة

للسنة الرابعة للمدارس الابتدائية

تأليف ستة مفتشين ، وستة مدرسين

يطلب من
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر
ومن فرعها بالاسكندرية ووكلائها بالأقطار المصرى
س . ت ٢٩٥٤٢